وقفة مع الشيخ :

هذا هو كلام الشيخ . ومن يرجع إلي كلام البيانيين من بلاغيين ومفسرين وغيرهم يجد أن الشيخ أخذ كلامهم وسار على هداه وحذف منه ما ينفع ذكره ويضر حذفه ثم ادعى أنه لم يذهب مذهبهم . وليس في كلامه جديد لم يقولوه . فارجع مثلا إلى ما كتبه الإمام جار الله ، وما كتبه صاحب الطراز[٥٨] وقارن بين ما قالاه وما قاله هو ، واسأل نفسك : هل خرج الشيخ فعلا عما قاله البيانيون الذين رفض طريقتهم منذ قليل .

نجاريه ... ثم نلزمه بما فر منه :

وإذا جارينا الشيخ ـ جدلا وسلمنا أن كلامه غير ما عليه البيانيون . فإن كلامه ملزم له بالقول بالمجاز درى أم لم يدر . رضي أم لم يرض .

ففي كلامه قد صرح بأن آثار الجوع والخوف المحيطة بهم شبهت باللباس . وعبارته هي : « لأن آثار الجوع والخوف تظهر على أبدانهم ، وتحيط بها كاللباس » . هي نص قاطع في الحمل على المجاز . ولن يفيده ـ هنا ـ أي اعتذار . فما الذي بقي من المجاز ـ هنا ـ سوى التسمية .

نوع الإستعارة في هذا الكلام :

لا نزاع أن في الآية استعارة شبهت فيها الآثار المترتبة على الجوع والخوف باللباس ، بجامع الاحاطة وشدة الاحساس في كل . وهي استعارة تصريحية أصلية لوقوعها في اسم الجنس . من قبيل استعارة المحسوس للمعقول كما يرى بعض البلاغيين . أو استعارة المحسوس للمحسوس على رأي بعض منهم[٥٩] ويجوز حملها على الاستعارة التمثيلية التي شبهت فيها هيئة بهيئة وصورة بصورة . وهذا ما أميل إليه .

---

(٥٨) انظر الكشاف (٤٣١/٢) والطراز للعلوي (٢٣٦/١) .

(٥٩) انظر : المفتاح للإمام السكاكي ، مبحث الاستعارة .